

غَزَّةُ:  
التَّاريخُ الاجتماعيُّ  
تحت الاستعمار البريطاني

أَبَاهِرُ السَّقَا





INSTITUTE FOR PALESTINE STUDIES

Anis Nsouli Street, Verdun

P.O. Box: 11-7164

Postal Code: 1107 2230

Beirut – Lebanon

Tel.: 00961-1-804959. Fax: 00961-1-814193

Tel. & Fax: 00961-1-868387

E-mail: [ipsbeirut@palestine-studies.org](mailto:ipsbeirut@palestine-studies.org)

<http://www.palestine-studies.org>

## مؤسسة الدراسات الفلسطينية

مؤسسة عربية مستقلة تأسست عام 1963 غايتها البحث العلمي حول مختلف جوانب القضية الفلسطينية والصراع العربي - الصهيوني. وليس للمؤسسة أي ارتباط حكومي أو تنظيمي، وهي هيئة لا تتوخى الربح التجاري. وتعتبر دراسات المؤسسة عن آراء مؤلفيها، وهي لا تعكس بالضرورة رأي المؤسسة أو وجهة نظرها.

شارع أنيس النصولي - متفرع من شارع فردان

ص. ب.: 7164 - 11

الرمز البريدي: 1107 2230

بيروت - لبنان

هاتف: 804959-1-00961. فاكس: 814193-1-00961

هاتف/فاكس: 868387-1-00961

E-mail: [ipsbeirut@palestine-studies.org](mailto:ipsbeirut@palestine-studies.org)

<http://www.palestine-studies.org>

يَسْرُ مَوْسَسَة الدِّرَاسَاتِ الْفِلَسْطِينِيَّة  
أَنْ تُعَرِّبَ عَنْ بَالِغِ تَقْدِيرِهَا وَشُكْرِهَا  
لِرَجُلِ الْأَعْمَالِ الْفِلَسْطِينِيِّ  
الْأَسْتَاذِ سُلَيْمَانَ عَبْدَ الْعَظِيمِ  
عَلَى تَقْدِيرِهِ مَنَحَةً عَنْ رُوحِ وَالِدِهِ  
الْمُحَرِّبِيِّ الْفَاضِلِ الْمَرْحُومِ  
عَبْدَ الْعَظِيمِ سُلَيْمَانَ (أَبُو مَصْبِيحٍ)  
أَتَا حَتَّى إِصْدَارِ هَذَا الْكِتَابِ

# الهدايا

إلى والدي الشيخ إبراهيم السقا  
وإلى نساء مدينتي غزة ورجالها

غزّة:  
التاريخ الاجتماعي  
تحت الاستعمار البريطاني  
1948 - 1917

Ghazzah: al-tārīkh al-ijtimā'ī taḥta al-isti'mār al-birīṭānī, 1917–1948

Abāhir al-Saqqā

Gaza: A Social History under British Colonial Rule, 1917–1948

Abaher El-Sakka

© حقوق الطباعة والنشر محفوظة

ISBN 978-614-448-040-3

الطبعة الأولى - بيروت

حزيران/يونيو 2018



غزة:  
التاريخ الاجتماعي  
تحت الاستعمار البريطاني  
1917 – 1948

أباهر السقا



## المحتويات

XIX	قائمة الصور
XXI	قائمة الملاحق
1	شكر
5	مقدمة عامة
القسم الأول: قراءة سوسيو تاريخية لمدينة غزة	
11	الفصل الأول
11	أولاً: قراءة في تاريخ المدينة
12	ثانياً: استمرار تاريخي أم انقطاع
15	ثالثاً: انتداب أم استعمار؟
23	الفصل الثاني: التاريخ الاجتماعي: مقاربات نظرية ورؤى من الميدان
23	أولاً: مقارنة عن التاريخ الاجتماعي
25	ثانياً: مقدمة مختصرة عن تاريخ مدينة غزة القديم
27	ثالثاً: غزة في الفترة العثمانية
31	رابعاً: الممثلات القنصلية في مدينة غزة في نهاية الفترة العثمانية
33	خامساً: الممثل القنصلي الفرنسي في مدينة غزة
36	سادساً: غزة في نهاية الفترة العثمانية
49	الفصل الثالث: التركيبة السوسيو اقتصادية للجماعة المدنية الغزية
59	الفصل الرابع: غزة تحت الاستعمار (الانتداب)
60	أولاً: المعارك البريطانية للاستيلاء على غزة

62	ثانياً: خطة تقاسم استعمارية فرنسية - بريطانية للإدارة
63	ثالثاً: السياسات الاستعمارية
65	رابعاً: إدارة استعمارية بغلاف انتدابي
67	خامساً: النظام القضائي
70	سادساً: بلدية غزة تدير المدينة
70	سابعاً: إحصاء السكان، قراءة في التركيبة الديموغرافية
79	الفصل الخامس: البلدية والصراع بشأن إدارة الاجتماعي - السياسي
79	أولاً: البلديات نموذجاً دلاليًا
88	ثانياً: فهمي الحسيني، رئاسة البلدية وسيرورة مدينة
95	ثالثاً: أغنياء المدينة
103	الفصل السادس: التشكيلات الاجتماعية العائلية المدنية
103	أولاً: الوجهة الاجتماعية وإدارة المدينة
108	ثانياً: الأعيان وإعادة إنتاج النفوذ الاجتماعي
111	ثالثاً: صراعات اجتماعية وتناقلات عابرة للأجيال
	<b>القسم الثاني: غزة بين التخطيط الاستعماري والتخطيط الأهلي</b>
119	الفصل الأول
119	أولاً: الإدارة الاستعمارية والسياسة الصحية في المدينة
122	ثانياً: مشافي المدينة
125	ثالثاً: البنية الصحية
131	الفصل الثاني: التخطيط الحضري للمدينة ما بين التخطيط الاستعماري والمحلي
131	أولاً: الإرث المعماري للمدينة والتغيرات الحضرية
135	ثانياً: العمارة الإدارية الاستعمارية
141	ثالثاً: أحياء المدينة التاريخية: تمثيلات اجتماعية وصور متناقلة
144	رابعاً: التخطيط الحضري الأهلي
146	خامساً: إنشاء حي الرمال
147	سادساً: تسمية الشوارع وترقيمها

153.....	الفصل الثالث: البنى الخدمية
153.....	أولاً: المياه
155.....	ثانياً: الإنارة
156.....	ثالثاً: منشآت المدينة
156.....	1. وسائل التنقل
156.....	2. ميناء مدينة غزة
159.....	3. مطار مدينة غزة
159.....	4. محطة القطارات
161.....	5. المساحات الخضراء
165.....	الفصل الرابع: البنى الاقتصادية للمدينة
165.....	أولاً: التجارة
167.....	ثانياً: حرفيو المدينة
169.....	ثالثاً: صناعات المدينة
169.....	رابعاً: الأسواق
171.....	خامساً: النظام الضريبي، المدينة الرابعة من حيث حجم الربح الضريبي
	القسم الثالث: البنى التعليمية والثقافية
179.....	الفصل الأول: التعليم
185.....	الفصل الثاني: البنى الثقافية
185.....	أولاً: الصحافة في مدينة غزة
187.....	ثانياً: السينما
188.....	ثالثاً: اللهو والرقص
189.....	رابعاً: المؤسسات الرياضية - الاجتماعية
	القسم الرابع: الحياة اليومية
195.....	الفصل الأول
195.....	أولاً: العادات الاجتماعية الغزية

196.....	ثانياً: المقامات والمواسم .....
196.....	1. جامع السيد هاشم ومزاره .....
198.....	2. موسم المنطار .....
202.....	ثالثاً: التدين .....
203.....	رابعاً: العلاقات الاجتماعية، المصاهرة والزواج .....
211.....	الفصل الثاني: الأنماط الاستهلاكية في الحقبة البريطانية .....
211.....	أولاً: أنماط الملابس: تراتبات اجتماعية وتحولات .....
216.....	ثانياً: الاصطياف .....
217.....	ثالثاً: المقاهي .....
217.....	رابعاً: أنماط استهلاكية أخرى .....
219.....	خامساً: المطبخ الغزي وهوية المدينة .....
220.....	سادساً: الحمامات .....
223.....	الفصل الثالث: العلاقة بين المكونات الاجتماعية المتعددة .....
223.....	أولاً: العلاقة بين الطوائف .....
228.....	ثانياً: الطائفة اليهودية .....
232.....	ثالثاً: جوال عربية وأجنبية في مدينة غزة .....
234.....	رابعاً: مدينة غزة ومحيطها .....
234.....	1. العلاقة بالمستعمرين الصهيونيين .....
238.....	2. علاقة المدينة بالمستعمر البريطاني .....

#### القسم الخامس: الحراك السياسي - الاجتماعي في الفترة الانتدابية

245.....	الفصل الأول .....
245.....	أولاً: الجمعيات الأهلية .....
245.....	1. الجمعية الإسلامية - المسيحية .....
246.....	2. المشاركة في الفعاليات الوطنية .....
247.....	3. المؤسسات الأهلية في مدينة غزة .....
247.....	4. فروع الأحزاب السياسية في غزة .....

248	.....ثانياً: الحركات الاحتجاجية
249	.....5. مشاركة مدينة غزة في إضراب سنة 1936
250	.....6. غزة في أثناء ثورة 1936 – 1939
251	.....7. النشاط السياسي في المدينة منذ الثلاثينيات حتى الأربعينيات
253	.....8. مشاركة المرأة
254	.....ثالثاً: احتقان مستعمري وتعاون استعماري
255	.....رابعاً: علاقة مدينة غزة بنظيراتها من المدن الفلسطينية
261	.....خاتمة
271	.....المراجع
273	.....باللغة العربية
277	.....باللغات الأجنبية
281	.....مواقع إلكترونية للبحث في الحقبة البريطانية
283	.....الملاحق
299	.....الفهرست

## قائمة الصور

- صورة رقم 1: أمر عثماني عن الشائعات في مدينة غزة سنة 1857..... 31
- صورة رقم 2: تعيين مصطفى العلمي نائباً شرعياً في مدينة غزة..... 51
- صورة رقم 3: آلية تسجيل البيوع..... 53
- صورة رقم 4: قوات بريطانية سنة 1917 في مدينة غزة..... 61
- صورة رقم 5: بيان لحملة انتخابية لترشح فهمي الحسيني لرئاسة البلدية الأولى..... 83
- صورة رقم 6: التغطية الصحافية لجريدة «الصراط»..... 86
- صورة رقم 7: مراسلة للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى..... 88
- صورة رقم 8: نموذج للسياسة الصحية..... 120
- صورة رقم 9: نموذج الأسبوع الصحي..... 121
- صورة رقم 10: المشفى المعمداني في نهاية الفترة العثمانية..... 123
- صورة رقم 11: مدينة غزة بعيد الحرب..... 133
- صورة رقم 12: قصر الباشا..... 134
- صورة رقم 13: غزة في سنة 1924 من جهة الشمال..... 135
- صورة رقم 14: مقبرة الإنكليز..... 136
- صورة رقم 15: تعميم بسن قوانين حضرية جديدة بشأن سكة الحديد..... 137
- صورة رقم 16: سكة الحديد تفصل مدينة غزة سنة 1918..... 139
- صورة رقم 17: مدينة غزة سنة 1924..... 141
- صورة رقم 18: مطار غزة في العشرينيات..... 158
- صورة رقم 19: محطة القطارات في الأربعينيات..... 160
- صورة رقم 20: سوق خان الزيت في الثلاثينيات..... 172
- صورة رقم 21: سينما السامر في الأربعينيات..... 188
- صورة رقم 22: شجرة السدرة في حارة السدرة..... 197

199	صورة رقم 23: موسم تل المنطار في الأربعينيات .....
206	صورة رقم 24: فرقة فدعوس .....
213	صورة رقم 25: قبر رجل دين في إحدى مقابر مدينة غزة .....
227	صورة رقم 26: نموذج للتمثلات الوطنية في ذلك الوقت .....
229	صورة رقم 27: تل المنطار باسم «شمشون» .....
229	صورة رقم 28: وثيقة حجة شراء دار .....
234	صورة رقم 29: أوقاف المغاربة .....
236	صورة رقم 30: وثيقة ادعائية .....



## قائمة الملاحق

- ملحق رقم 1: رسالة فهمي الحسيني بتاريخ 18 كانون الثاني / يناير 1938، للجنة الملكية ..... 285
- ملحق رقم 2: رسالة فهمي الحسيني بتاريخ 12 تموز / يوليو 1937 ..... 290
- ملحق رقم 3: نشر إعلان عن عقاب بريطاني في حالة نشر شائعات ..... 294
- ملحق رقم 4: نموذج للخطابات الدينية الوطنية ..... 295
- ملحق رقم 5: برنامج استقبال الأمير سعود ..... 297
- ملحق رقم 6: قيام الأهالي بتسليف البلدية لإقامة مشاريع أهلية ..... 298

## الفصل الثاني

### التخطيط الحضري للمدينة ما بين التخطيط الاستعماري والمحلي

#### أولاً: الإرث المعماري للمدينة والتغيرات الحضرية

منذ القدم كانت مدن المشرق، كما في أماكن أخرى من العالم المهيمن عليه، محل اهتمام علماء الآثار الغربيين، وشكلت هذه المدن مجال تنافس فيما بينهم. إذ أراد بعضهم أن يقرأ التاريخ الأركيولوجي «الآثاري» بما يتلاءم مع قراءته للتاريخ الديني التوراتي - الإنجيلي. وبدأت «المكتشفات» الأثرية في مدينة غزة على يد عالم آثار سويسري سنة 1894.<sup>1</sup> ثم تلتها مجموعة مكتشفات أخرى مع بداية العشرينيات حين احتلت الحفريات الأثرية الجديدة مكانة مهمة لدى القوتين الاستعمارييتين حينئذ الفرنسية والبريطانية. وكانت هذه الحفريات استمراراً للحفريات والتنقيب الأثري لمدينة غزة في زمن الإرساليات الدينية. ثم عادت فكرة «إعادة اكتشاف فلسطين» إلى الظهور من جديد من خلال البعثات الأثرية الأركيولوجية والمدارس الإنجيلية، وكانت جزءاً من صراع معرفي بين الخبراء الذين كانوا في كثرتهم الساحقة أجنباً أوروبين، كما تظهر لنا المراسلات بين الفرنسيين والإنكليز<sup>2</sup> بهذا الشأن. وكان أحد هؤلاء العلماء وليم ماثيو فلنדרز بتري<sup>3</sup> (Flinders Petrie) الذي كان ضمن البعثة الأثرية الأركيولوجية البريطانية، ولم تكن مدينة غزة تغريه، وإنما كان منشغلاً بالآثار المصرية. وبقيت الحال كما هي حتى عقد الثلاثينيات حين تم اكتشاف آثار لممالك محلية مهمة، على يد فلنדרز<sup>4</sup> حُملت أجزاء منها إلى المتحف البريطاني، وجزء آخر وضع في متحف بالقدس الذي كانت تشرف عليه السلطات البريطانية قبل أن تستولي عليه سلطات الاستعمار الإسرائيلية وتسميه لاحقاً متحف إسرائيل.

في السنوات اللاحقة، أي خلال المرحلة الناصرية، لم تهتم السلطات المصرية بالآثار في مدينة غزة.<sup>5</sup> وخلال الاحتلال العسكري المباشر للسلطات الإسرائيلية حاولت، كما فعلت في مناطق أخرى من فلسطين، نسب الآثار القديمة إليها. وقامت دائرة الحفريات الأركيولوجية الإسرائيلية بإجراء حفريات للتنقيب عن الآثار، وفي أعقابها قامت السلطات بنقل جزء مهم من آثار دير البلح إلى متحف إسرائيل، نتيجة هذه الحفريات التي قامت بها المؤسسات الإسرائيلية في الفترة 1972-1982، وأشرف على سرقتها موشيه دايان وزير حرب إسرائيل، وهي موجودة الآن في المتحف المذكور. وفي سنوات لاحقة في أثناء الحكم الاستعماري الإسرائيلي جرت حفريات تابعة لمؤسسات آثار إسرائيلية في الفترة المذكورة نفسها تحت إشراف تروود دوتلن.<sup>6</sup> وعن هذه الآثار يقول أحد المتخصصين بآثار المدينة المؤرخ سليم المبيض إن كل الادعاءات عن وجود آثار يهودية غير دقيقة.<sup>7</sup> وفي سنوات لاحقة خصص مهندس من غزة هو جودت الخضري متحفاً صغيراً سماه المتحف، وهو عبارة عن مركب سياحي فيه آثار جمعها من مدينة غزة.<sup>8</sup> وبإجماع كثيرين من علماء الآثار اليوم<sup>9</sup> تُعد مدينة غزة وما حولها واحداً من أهم المعالم الأثرية في فلسطين.

وجراء العمارة الحديثة فقدت مدينة غزة أجزاء كبيرة من إرثها المعماري قبل بدء الحكم البريطاني. إذ فقدت جزءاً من مبانيها التاريخية الأثرية نتيجة التهديم المرتبط بالغزوات والاحتلال وتعرضها لحالات حصار كثيرة، منها حصار نابليون بونابرت. وقد هدم بونابرت قلعة غزة، والعديد من المساجد، منها جامع قايتباي ومدرسته وجامع الجاولي.<sup>10</sup> ويبدو أن المدينة كانت لها أسوار قديمة جداً تهدمت، ويذكر العارف أن سور المدينة هدمه بونابرت،<sup>11</sup> لكن كثيراً من الوثائق يشير إلى أنه لم يكن للمدينة سور في الفترة العثمانية.

أما بقية الإرث المعماري التاريخي، فقد تهدمت أجزاء أخرى منه في إبان الفترة العثمانية، حين قام جمال باشا التركي - الملقب بالجزار - سنة 1916 بهدم مئات البيوت، وبتدمير خانات، وخصوصاً خان الزيت، ومساجد ولا سيما المملوكية منها، ولم يجر تعويض السكان. ومع بداية الاستعمار البريطاني في سنة 1917، في أثناء المعارك الثلاث وبعدها خسرت المدينة ما يقارب ثلث عمائرنا نتيجة الضربات البرية والبحرية، وتهدمت عشرات المباني الأثرية، كأجزاء من الجامعين العمري الكبير والسيد

هاشم<sup>12</sup> بسبب وضع المدافع العثمانية على أسوار المسجد الأول،<sup>13</sup> وجرى تدمير منشآت دينية<sup>14</sup> منها مسجد الشمعة.<sup>15</sup> كذلك تعرضت المدينة لزلزال أصابها سنة 1927 كسائر أرجاء فلسطين في العشرينيات، والذي هدم أجزاء كبيرة من قصبة مدينة غزة. ومن المؤكد أن سلطات الاستعمار البريطاني هدمت في سنة 1936 أجزاء كبيرة من البلدة القديمة في مدينة يافا، ومسحت العديد من البيوت والمساجد والمقامات والزوايا والمدارس والكتاتيب والكثير من معالمها. لكن نظراً إلى تهديم أجزاء كبيرة من مدينة غزة خلال الفترة 1916-1927، فهي تُعد ربما المدينة الفلسطينية الأكثر تعرضاً لعمليات هدم مقارنة بمدن فلسطينية أخرى، وهذا يفسر في رأينا عدم وجود آثار ظاهرة في مدينة قديمة كبيرة، كما هي الحال في الخليل ونابلس والقدس.

#### صورة رقم 11 مدينة غزة بعيد الحرب



المصدر: Library of Congress, Prints and Photographs Division, Washington, D.C. 20540 USA.

ما بقي من الإرث المعماري لمدينة غزة هو بعض المعالم التي نذكر هنا أهمها: المسجد العمري الكبير البالغة مساحته 4100 متر مربع، ويقع في حي الدرج وسط المدينة. ويُعتقد أن البناء الأول له كان قبل 900 سنة.

أمّا قصر الباشا الذي شُيد في زمن الظاهر بيبرس (1260-1277)، فهو واحد من المعالم القليلة الباقية الشاهدة على العمارة الإسلامية المملوكية، واستُخدم في بنائه الحجر الرملي، وكذلك أحجار جيرية ورخامية ملونة، وتحول آنياً إلى متحف فيه بعض الآثار البيزنطية والعملات النقدية وبعض الأدوات الفخارية التي تعود إلى الحقب الأيوبية والمملوكية والعثمانية، وهو يحتوى أيضاً على بعض الآثار التي تعود إلى الحقب البرونزية والكنعانية واليونانية والرومانية والبيزنطية. وهناك بعض الشواهد، مثل مسجد السيد هاشم، وجامع كاتب الولاية، وكنيسة القديس برفيريوس، ومواقع أثرية أخرى، كتل العجول وتل السكن وتل المنطار والبلاخية، بالإضافة إلى العديد من البيوت والمنشآت الأثرية والخانات القديمة.

صورة<sup>16</sup> رقم 12  
قصر الباشا



من ناحية حضرية فإن أجزاء من المدينة القديمة ما زالت حتى عهد حديث تسمى بالتسميات القديمة نفسها، مثل مدينة تل السكن، وهي تسمية بقيت مستخدمة منذ عهد قديم، والشيخ عجلين نسبة إلى تل العجول، وهو أحد أحياء حي الرمال الجنوبي اليوم.

صورة رقم 13  
غزة في سنة 1924 من جهة الشمال



المصدر: المدرسة الإنجيلية في القدس (Ecole biblique de Jérusalem).

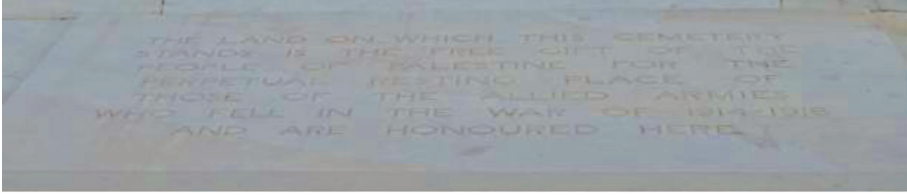
### ثانياً: العمارة الإدارية الاستعمارية

كان مقر الحاكم في المدينة بالسرايا<sup>17</sup> التي شُيّدت على أطراف مدينة غزة الجديدة، أي في حي الرمال على يد مهندس بريطاني اسمه تيفرد، وكانت تحتوي على سجن ومقر عسكري وأمني. ومن مباني غزة، مبنى شرطة المدينة، وبعض المباني القليلة الرسمية الأخرى التي شيدها البريطانيون. ومع بداية الحقبة الاستعمارية، لم تعمل سلطات الاستعمار على إعادة البناء، لكنها اهتمت بغزة المدينة بسبب قربها من قناة السويس ومصر، ولوقوعها على الخط البحري نفسه لمدينتي حيفا ويافا، لكنها لم تقم بعمليات بناء مهمة مقارنة بمدينتي يافا وحيفا، بل هدمت سنة 1917 معظم بيوت مركز المدينة، وكذلك مناراتها البحرية. وفور بدء سيطرة البريطانيين على المدينة، أقاموا مقبرة لضحاياهم (الصور أسفل هي صورة قطعة من رخام وُضعت على مدخل المقبرة عند إنشائها، والأخرى صورة حديثة للمقبرة)، واللافت في التخیل الاستعماري أن البريطانيين علقوا لافتة على مدخل مقبرة الجنود البريطانيين وجنود التحالف الذين سقطوا خلال السنوات 1914-1918 كتبوا عليها: «إن الأرض التي يرقد فيها ضحايا التحالف أعطيت



هبة من شعب فلسطين.» وقد نرى في هذا الشكل من ذاكرة الأحياء، رغبة من الإدارة الاستعمارية في تقديم صورة ضحاياها في المعارك للسيطرة على مدينة غزة، عبر خلق مكان للذاكرة يحقق فيها المستعمر لنفسه هدفين: الأول صناعة مكان لاحترام ذكرى جنوده وجنود التحالف وتضحياتهم والإحاطة بالهالة المصاحبة لذلك، والثاني تقديم السكان كشركاء في صناعة مكان الذاكرة للجنود الاستعماريين بصفتهم مخلصين؛ وما إهداء المستعمرين للأرض هذه إلا تعبيراً عن اعتراف المجتمع الفلسطيني بجميلهم عليه.

صورة<sup>18</sup> رقم 14  
مقبرة الإنكليز



منذ سنة 1920 باشرت الحكومة الاستعمارية عمل مسح للخرائط ورسوم للأراضي الفلسطينية بدءاً من مدينة غزة.<sup>19</sup> وقد عملت الحكومة على تطوير 500 كم من أصل 1200 كم من الطرق الحضرية في كل من مدن غزة ونابلس والخليل والقدس وبيت لحم،<sup>20</sup> لكنها لم تعمل على تطوير هذه المدن، وهو ما ينطبق على مدينة غزة. فقد عملت السلطات البريطانية على الاهتمام بالتخطيط الجغرافي الحيزي الخارجي، وتمديد شبكات الطرق التي تصل المدن الفلسطينية بعضها ببعض بدءاً من سنة 1932،<sup>21</sup> وصيانة

سكك الحديد، وتطوير بعض الطرق الجديدة التي تربط الشمال بالجنوب.  
وقررت الإدارة الاستعمارية، إذاً، عمل مخطط حضري لمدينة غزة، لكنه لم يطبق إلا  
في سنة 1924، لإعادة تأهيل مركزها وبناء المرفأ (لم يتم). وعدا ذلك قام البريطانيون أيضاً  
بفتح شوارع رئيسية وسن قوانين حضرية جديدة بشأن سكة الحديد (انظر صورة رقم 15).

### صورة رقم 15 تعميم بسن قوانين حضرية جديدة بشأن سكة الحديد



المصدر: أرشيف دائرة المخطوطات الفلسطينية، وزارة الأوقاف الإسلامية في غزة.

لكنهم لم يعيدوا بناء المدينة، وقد عمدت البلدية إلى إصلاح العديد من الشوارع  
وأعادت فتحها، مثل: المحطة والدحوح والكمالية والعُمدان والبريد، وإلى ترميم مبان.  
واحتاجت إلى سنوات طويلة لترميم بعض البيوت، وهدم المباني الآيلة إلى السقوط. وفي  
30 آذار/مارس 1920 وضعت البلدية في جريدة «فلسطين الجنوبية» إعلاناً عن حاجتها  
إلى مهندس،<sup>22</sup> وتم تعيين مهندس إيطالي للإشراف على هذه العمليات في سنة 1921.



ومثلما فعلت الإدارة الاستعمارية بمدن فلسطينية أخرى، عملت على تقديم مخططات حضرية جديدة مرتبطة بفرض رؤاها الجديدة على الأحياء المدارة، من أجل ممارسة سلطتها على الفضاءات الحيزية، الأمر الذي يسمح لها بسلطة بمنطق فوكو (Foucault)، أي من خلال قدرتها على إدارة الموضوعات المدارة في الفضاءات التي تسيطر عليها، سواء أكان ذلك في المستشفى، أم في المدرسة بصفتها فضاءات سلطوية.<sup>23</sup> ومن ناحية تظهر لنا المادة رقم 1 من صك الانتداب المعدل لسنة 1922 والتي بموجبها تمكن الانتداب من القدرة على التشريع وتحت مبررات «التحضير» أو الادعاءات الإنسانية العادلة للانتداب، أن البريطانيين عملوا عبرها على التدخل في تسيير الأقاليم والتخطيط الحضري مع الادعاء أنهم لن يمسوا خصوصيات المجتمع الفلسطيني. وضمن هذا الإطار بدأت الإدارة بتنفيذ تخطيط حضري جديد لمدينة غزة مستوحى من قانون بريطاني - كان معمولاً به في المملكة البريطانية - لسنة 1909 برعاية المخطط الحضري البريطاني كندال (Kendall) تحت حجة «من أجل المصلحة العامة».<sup>24</sup> وكما هي الحال بالنسبة إلى مدن فلسطينية أخرى في بدايات سنة 1921، جرى تداول المخطط، ثم تطبيقه بدءاً من سنة 1924، وبالتالي تبعه مخطط حضري ثان سنة 1936، لإعادة ترتيب مركز المدينة. وتبين سجلات البلدية أن المخطط البريطاني كان يتدخل في كثير من القضايا التي سنعرض بعضها للدلالة. وكي نفهم ديناميكية السلطة وممارستها في الفضاء المدني الحضري في غزة، علينا تقديم قراءة جينولوجية للتحضر ودراستها كفكرة في سياقها، وفهم أشكالها العلائقية المحلية والوطنية والاستعمارية. فعند الاطلاع على بعض تفصيلاتها نجد فيها مثلاً اقتراح إعادة تخطيط حي الدرج ليصبح المدينة العليا، التي يتمركز فيها النشاط الديني والتجاري والإداري. وخلال حقبة الحكم الاستعماري تم تغيير حدود المدينة، ورسمها بناء على تعليمات الحاكم العسكري البريطاني، إذ لم تكن في الماضي للمدينة حدود بقدر ما كان لديها مناطق تخوم، فرسم المندوب السامي حدود بلدية غزة بقرار، من الجهات الأربع، ثم تم توسيعها. وكان التعديل على هذه الحدود يتطلب موافقة الحاكم. وجرى تعديل حدود المدينة عدة مرات في سنة 1923، ثم في السنوات 1926، و1928، و1939.<sup>25</sup>

صورة رقم 16  
سكة الحديد تفصل مدينة غزة سنة 1918



المصدر: «أطلس فلسطين»، أريج. Arij, Applied Research Institute, *An Atlas of Palestine*.

فعلى مستوى التخطيط الحضري، كثيرة هي الدراسات التي تُبين<sup>26</sup> دور التخطيط الاستعماري في إعادة تخطيط مدن المستعمرين وتأثيره في العمارة والبنى التحتية، وتعميم نماذج مستقدمة إلى المدن المدارة. وقد شهدت مدينة غزة مجموعة من التغيرات المعمارية، كما هي الحال في المدن العربية الأخرى في المشرق، وخصوصاً في فلسطين،<sup>27</sup> حيث تم استقدام نماذج مستوردة معمارياً سمحت لإدارة الاستعمار بإعادة تملك الفضاءات الأصلية، وإعادة تدوير الموارد وصولاً إلى تعميم النمط المعماري البريطاني على البيوت والمباني. فأدى هذا إلى نفاذ السلطة الإدارية من خلال نفاذ استيراد

الأشكال الحضرية المعمارية في المدينة. وهذا يعني إقبال الأصلاحي على البناء وفق النمط المعماري البريطاني. وقد يكون أحد مداخلنا لفهم هذا، أولاً: استبطان هذا النمط المعماري الجديد الذي يمكن تأويله بالاعتماد على فكرة ابن خلدون عن «ولع المغلوب بالغالب»، وهي فكرة قد تكون مدخلاً مهماً لفهم أشكال الاستيطان لدى المستعمرين لمنطق «العصرنة والحدثة» وفوقية النماذج التقنية الحاملة للتحديث، التي كانت تمثلها فئات الإداريين الاستعماريين من رجال أعمال، ومهندسين، ومندوبين سامين. وقد أدت هذه النماذج إلى تغيير أشكال البناء في مدينة غزة، كما في مدن فلسطينية أخرى، والتنازل عن العمارة المحلية وإرثها العربي - الإسلامي. ثانياً: عملت الإدارة الاستعمارية علاوة على ما سبق، على إغراق السوق بمواد بناء جديدة، وبدأت الحكومة البريطانية بإدخال أصناف جديدة للبناء في الأسواق الغزية، كغيرها من الأسواق الفلسطينية الأخرى، مثل الكرميد الأحمر، والأسمنت البريطاني.

على الرغم من هذه التغييرات على العمارة في مدينة غزة التي استوحت النمط الهندسي «العربي»، فقد بني بعض بيوت المدينة في تلك الحقبة بالحجر التقليدي، مع تحديث الأشكال الهندسية، أي بالحجر الآتي من منطقتي الخليل والقدس - والمسمى محلياً الحجر القدسي - وكذلك بالمواد المحلية في مدينة غزة والمكونة من رمل البحر «الزف»<sup>28</sup> ومن بقايا الفخار،<sup>29</sup> إضافة إلى البناء على النمط المعماري البحري، أي المكون من الحجر الرملي، كما كان الوضع في بيروت ومدن الساحل في بلاد الشام. ويبيّن بعض الدراسات التي أشارت بشكل عرضي إلى العمارة الداخلية في مدينة غزة قبيل الاستعمار البريطاني<sup>30</sup> أن العمارة الغزية، كما هي حال العمارة في مدن فلسطينية أخرى، كانت تقوم على وجود مبانٍ بينها أحواش - مساحات مشتركة لساكنيها. ثم بدأت تتغير أنماط البناء في مدينة غزة خلال هذه الحقبة، فتبدل نمط العمارة الداخلي، إذ تم إدخال شبكات صحية إلى المنازل بالتوازي مع التخطيط الحضري للبلدية.

أدت قوانين البلدية دوراً أساسياً في تغيير نمط العمارة الداخلية. وتُظهر سجلاتها<sup>31</sup> اعتماد قانون جديد للمباني سنة 1938 حدّد نظام البناء وعلو المباني بسقف يعلو 10 أمتار. ويذكر السكان<sup>32</sup> أن مدينة غزة كانت خالية من المباني العالية، وأن الوسيلة الوحيدة المتاحة لرؤية المدينة من علو كانت إمّا الذهاب نحو تل المنطار،

وإمّا الصعود على متن «الحواويز»<sup>33</sup> أي خزانات المياه، وذلك لأن المدينة ساحلية ومنبسطة إلى حد ما، باستثناء بعض التلال، وبسبب خلوها من المباني العالية في ذلك الحين. ويتندر سكان حي الرمال<sup>34</sup> بأن الحاووز الذي ما زال قائماً، كان أعلى مبنى في الحي، وكان مثيراً لكل الأطفال واليافعين، ويدفعهم إلى ضرورة خوض تجربة الصعود والتسلق على الحاووز من باب الفضول وإظهار الشجاعة، وبقي هذا على حاله حتى إقامة عمارة الزهارة في بداية الثمانينيات وكانت من 13 طبقة. ولم تعرف مدينة غزة العمارات الضخمة الشاهقة العلو، وما يسمى اليوم بالأبراج، إلا بعد التسعينيات.

صورة<sup>35</sup> رقم 17  
مدينة غزة سنة 1924



### ثالثاً: أحياء المدينة التاريخية:

#### تمثلات اجتماعية وصور متناقلة

كانت مدينة غزة في الفترة التي ندرسها، تحمل صوراً متخيلة وما زالت. ونهتم هنا بتمثلات المدينة لدى سكانها، أي بتمثلاتهم عن مدينتهم، وهو ما يسمح لنا بتكوين صورة لتخيل سكان الأحياء بعضهم بعضاً. ولدى سكان غزة صور متعددة لها كمدينة، ولأحيائها، وكذلك تخيلات للمجموعات الاجتماعية بعضها عن بعض. ففي المخيال

الجماعي الغزي تحمل المدينة صوراً عديدة متناقضة عند سكانها، فمثلاً تختلف تفسيرات الأهالي عن مقولات متناقلة على غرار: أن «غزة غزاها البين» (المصيبة، الشؤم)، وتختلف بشأنها التفسيرات. فبعضهم يرى أن «غزة غزاها البين» تعني أن المدينة حل بها البين والغربان والشؤم، وهذا متعارف عليه في مجتمعات متعددة، بينما ترى تفسيرات أخرى أن هذا التعبير يعني أن «من غزا غزة حلت عليه المصائب والبين»، وذلك بسبب شجاعة أهلها وبسالتهم. وثمة رأي ثالث يرى أن هذا القول ربما يُتداول نقلاً عن قول روائي حكواتي من إرث الرواية الشعبية «تغرية بني هلال»، وتحديدًا عبر لسان أبي زيد الهلالي، إذ يُعتقد أنه أول من استخدم هذا التعبير ليصف حالة المدينة. ويعتقد الباحث أنها ربما مقولة لمتلازمة تركيبيه مرتبطة بفكرة الترحال عند بني هلال وتغريتهم وتوقع حلول الهلاك. وأغلب الظن أنها جزء من معتقدات شعبية متوارثة مرتبطة بالحكاكين أكثر من كونها مرتبطة بحوادث تاريخية معينة، فهي مختلفة في سردياتها. ففي مصر تُسرد بطريقة مغايرة عما هي في تونس والحجاز ودمشق. أمّا عن تسمية أبناء مدينة غزة لذواتهم، فهم يسمون أنفسهم بالعربية الفصحى للمذكر: «الغزي» وللمؤنث: «الغزية»، وبالدرجة المحلية غزاوي للمفرد المذكر وغزاوية للمفرد المؤنث و«غزاوة» للجمع، بينما يسمي بعض الفلسطينيين سكان المدينة «الغزاوية». وثمة لهجة خاصة بسكان المدينة، تحولت لاحقاً إلى لهجة خاصة بمجموعة صغيرة من السكان، وكما في مناطق أخرى من العالم، بدأت لهجة المجموعة الغزية السكانية التي أضحت أقلية، باستخدام تعبيرات «غزاوة قح» أو «غزاوي قح»، أي من غزة، أباً عن جد، وكل ما تحمله هذا المقولات من تعابير تنم عن الهوية وإعلان الذات، في مقابل هويات اجتماعية أخرى تُعرّف بأنها مختلفة. وقد شهدت المدينة بعد سنة 1948 حضور لهجات عديدة من مدن وقرى فلسطينية أخرى، لأن مجتمع مدينة غزة هو نسخة مصغرة عن المجتمع الفلسطيني بحكم تنوع أصول سكانه، وخصوصاً بعد النكبة، مع ملاحظة ما يسميه بيار بورديو بظاهرة القبول لمصلحة المجموعات المهيمنة، أي آليات عمل «عنف رمزي»، وهو ما جعل لهجات القادمين تتأثر بلهجة مدينة غزة. وفي لهجة مدينة غزة بعض الخصوصيات تشترك فيها مع المدن القديمة في فلسطين، كاستخدام تعبير «أني» بدلاً من «أنا» مثلاً، كما في نابلس والخليل وبعض المناطق الأخرى في فلسطين، إضافة إلى تنوع في استخدام حرف القاف فيلفظ بالقال وليس بالقاف



في أغلبية لهجات مدن العالم العربي، أي في الجزائر وتونس والمغرب والخليج وأجزاء كبيرة من الوطن العربي، فضلاً عن خصوصية أخرى هي ترافق نغمة تساؤلية في نهاية الجملة، كما لو كان المتحدث يسأل؛ وتُفتَح الكلمة بدلاً من كسر آخرها، على عكس ما يفعل كثيرون في مدن فلسطين وقراها.

كانت أحياء المدينة تسمى في الماضي «محلة» أو خط، وتجمع الأحياء بالخطوط.<sup>36</sup> وأول أحياء المدينة هي: حي الدرج، ويعتقد الشيخ الطباع أنه سمي كذلك لأنه يؤتى إليه بصعود لارتفاع موقعه كما لو كان درجاً؛<sup>37</sup> حي الزيتون الذي سمي بهذا الاسم لكثرة شجر الزيتون فيه؛ حي التفاح لكثرة شجر التفاح فيه؛ حي الشجاعية ويعود تاريخه إلى الحقبة الأيوبية في غزة، فيقال إن تسميته تعود نسبة إلى شجاع الدين عثمان الكردي، وهو القائد الأيوبي في غزة، الذي استشهد في القتال ضد الصليبيين، خلال القرون الوسطى، وهو ينقسم إلى قسمين: حارة التركمان، وحارة الجديدة؛<sup>38</sup> حي الأكراد نسبة إلى الأكراد الذين صاحبوا صلاح الدين الأيوبي في طريقهم لقتال الصليبيين، وأقاموا بغزة. وعلى خلاف الأحياء الأخرى يُعد حي الشجاعية (السجاعة)، بالتسمية المحلية. إذ يستخدم سكان مدينة غزة نظام القلب، فيقال في بعض اللهجات العامية «شمش» بدلاً من شمس، وهذا مألوف بلهجات عربية في بلاد الشام، ويسمى في اليمن «الشنشنة»). هذا الحي حمال لصور وتمثلات عديدة، فهو أحد أحياء المدينة القديمة أياً يكن أصل هذه التسمية، فإن الحي/«الحارة» يحمل في المخيال الجمعي لسكان مدينة غزة صورة متخيلة لحي باسل وسكانه أشداء، يضاف إلى ذلك، في زمن متأخر، أي بعيد إقامة سكة الحديد التي تربط بر الشام بمصر، أن حدث فصل تمايز اجتماعي بين مجموعات اجتماعية متنوعة، بين سكان «شرقي السكة» و«غربي السكة»، مع صور نمطية لسكان طرفي السكة. وهذا التمايز الاجتماعي مألوف في المناطق الحضرية والريفية في فلسطين، كالفصل مثلاً بين «المناطق التحتا» و«المناطق الفوقا» في عدة قرى ومدن فلسطينية، وكما في مدينة نابلس بين شرقي المدينة وغربيها. وأنواع هذا التمايز في معظمها مرتبطة بحركات سوسيو حضرية وعمرانية أحدثت أنماط استهلاك وتمثلات اجتماعية متعددة.

ويحمل سكان حي الشجاعية والأفراد المنحدرون منه تمثلات عن لهجة خاصة

بأهل «الشجاعة الأصلايين»؛ يقدمها البعض على أنها أكثر تأصلاً وترسخاً، فيتناقل البعض مثلاً عبارات توكيدية: «أنا من قرايع الشجاعة يخو»، أي من عمق المدينة ومن حارتها القديمة، ونجد مثل هذه التخيلات في أماكن أخرى في مدن عربية أخرى.<sup>39</sup> هذه الأشكال عن تمثيلات الأحياء في حينه تعني تمثيلات هوية عن كل حي. كما توجد صور أخرى مرتبطة بسكان حي الشجاعة، وهي قيم «الحمية» و«الفرعة» و«النخوة»، بالإضافة إلى الصورة المشهورة لسكان الحي كونهم «آكلي الفلفل الحار بشرهة»، وهذه الصورة بدروها، حمالة لتصورات متخيلة عن «الخشونة» و«الذكورة» و«الفحولة». ويقول الشيخ الطباع عن سكان الحي أن فيهم «عصبية وحمية ومكارم قومية وقد يشتد بينهم الخصام والعداء ويثور فيهم التشاحن».<sup>40</sup> بينما يرى البعض أن هذه الصورة خاصة بكل سكان مدينة غزة، كما هي الحال في حالات تعميم الصور النمطية المتعددة لسكان المدن الفلسطينية الأخرى، فلدى البعض صور نمطية لسكان مدينة غزة، مثل: أنهم «حادو المزاج، سريعو الغضب، محبوبون للانتقام والأخذ بالثأر، ولا يقيمون مأتماً إلا بعد أخذ الثأر». هذه الصور النمطية لعارف العارف<sup>41</sup> إلى جانب صور نمطية أخرى يقدمها هو نفسه عن كرمهم وحسن أخلاقهم ونبيلهم وشجاعتهم ووفائهم وصيانتهم للجوار وإكرامهم للضيف وغير ذلك. وفي أطراف حي الشجاعة يقع تل المنطار الذي تصل أعلى نقطة فيه إلى 85 متراً عن مستوى سطح البحر، وهو منطقة شهيرة، إذ قُتل فيه آلاف الجنود في الحرب العالمية الأولى، وكذلك عسكر فيه جنود نابليون بونابرت. وبقي الحي يحمل صورة حي باسل قوي عصي على الغزاة، لأنه على أبواب المدينة. وتعززت صورة الحي خلال العدوان الأخير لجيش الاستعمار الإسرائيلي سنة 2014 ومقاومة أهله له وخسائر جنوده على يد المقاتلين، وذلك بسبب وجودهم في الحي الذي كان حاضن المقاومة.

### رابعاً: التخطيط الحضري الأهلي

إذاً، كانت المدينة تتكون من عدة أحياء شكلت نواتها الحضرية، وارتبطت فيها الناس بعلاقات الجيرة والتماثل، وأنتجت وحدات تضامنية - بالمعنى الخلدوني - مصغرة تجعل قاطني الحي يشعرون بتمثل هوية خاصة في مقابل أحياء أخرى. وسنرى كيف ستبدل هذه الصور مع ولادة أحياء جديدة في المدينة.

تبدلت معالم المدينة وأنشئت فيها أحياء جديدة، نتيجة تخطيط حضري جديد قامت به البلدية، فتوسعت المدينة وازداد عدد سكانها بسبب عودة المهجرين، فتمددت في إثر ذلك حدودها.<sup>42</sup> ويتضح من سجلات البلدية أن هناك آلاف القرارات لتنظيم العمران ومراقبة البناء وتخطيط المدينة. وقد تم إصلاح 25 شارعاً، ثم توسيع الشارع العمومي.<sup>43</sup> وبدأ فتح شوارع يتراوح عرضها بين 14 و20 متراً، وتبع ذلك ضرورة استملاك أراضي وقف من السكان، مثل استملاك البلدية أراضي تابعة لآل رضوان، وأعطى السكان بدلاً منها أراضي أخرى، وذلك بغرض فتح الشوارع التي لم تتسم بانسيابية وسلاسة. واستحدث رئيس البلدية حينئذ فهمى الحسيني نظاماً سمي «نظام الشوارع البلدية» لرصف الشوارع وتعبيدها.

وفيما يتعلق بالتغيرات الحيزية في المدينة، ظهرت الأرصفة في مدينة غزة بدءاً من سنة 1937،<sup>44</sup> حين أجبرت البلدية السكان على إنشاء أرصفة أمام منازلهم، مع تغريم المخالفين منهم. وشكلت البلدية لجنة تنظيم خاصة بالمباني في المدينة سنة 1921،<sup>45</sup> ووضع تخطيط لها في السنة نفسها.<sup>46</sup> وشكلت لجنة أخرى جديدة في سنة 1941، وتم فرض رخص البناء، وكذلك استحداث قوانين لفحص صلاحية السكن ومقاييس المرافق الصحية في المنزل وأمور أخرى. وبدءاً من سنة 1941 بدأ تنفيذ تسوير البيوت تسويراً إلزامياً، ووضع معايير خاصة بذلك.<sup>47</sup> وبالنظر إلى برنامج فهمى الحسيني الانتخابي، نرى أن الأخير عمل من التخطيط الحضري ركيزة أساسية في برنامجه (انظر صورة رقم 5)، وعمل في الولايتين (من سنة 1928 إلى سنة 1938) على توسيع شوارع المدينة وتعبيدها، وإنشاء ضواحٍ سكنية جديدة. وأصدرت البلدية نظاماً آخر جديداً لاحقاً سمي نظام «إنشاء الشوارع في غزة» سنة 1945، منح بموجبه المجلس البلدية حق «تسمية أي شارع» بشارع عام، وشق مساحات أرصفة؛ وبدأت بعدئذ عمليات رصف الشوارع بالأسفلت، وجرى تعبید شوارع أخرى. وربما تكون مدينة غزة هي من المدن الفلسطينية الأولى التي جرى فيها نظام ترقيم المباني، وتحديد لون اللافتات والهيئة والحجم، فقد بدأ ترقيم شوارع مدينة غزة منذ سنة 1947. وربما أيضاً قد تكون مدينة غزة هي من المدن الفلسطينية القليلة التي كانت فيها شوارع واسعة وأرصفة عريضة منذ أواخر الثلاثينيات.



## خامساً: إنشاء حي الرمال

كان حي الرمال في بداية الحقبة البريطانية يقع على أطراف المدينة التي تعج بالكثبان الرملية قبل الوصول إلى البحر، وكانت هذه الكثبان نتيجة زحف رمال البحر. فعمل فهمي الحسيني على إنشاء حي جديد فيها، لم يكن فيه إلا عشرات البيوت في المناطق القريبة من شارع عمر المختار، وخصوصاً في جانبه الشمالي.<sup>48</sup> وقد نشأت «غزة الجديدة» التي قرر الحسيني بناءها عبر التوسع في المدينة، من خلال سياسة تشجيع السكان على تملك أراض فيها. ولتشجيع الناس على الانتقال إلى هذه المنطقة، أنشئت خزانات للمياه بسعة 3000 متر مكعب. وبدأ الناس بشراء أراض، وكان المواطن يدفع جنيهاً ويقسط 3 جنيهات لعشرين عاماً، وكانت مساحة القسائم بين 100 و1500 متر.<sup>49</sup> وبالتالي حوّل فهمي الحسيني الكثبان الرملية المحاذية لشاطئ البحر إلى أحد أرقى أحياء مدينة غزة خلال الحقبة البريطانية. وفي الفترة 1928-1939، تحسنت الخدمات للمواطنين، وأُلزم السكان بالاشتراك بشبكة المياه. وغزة الجديدة حي به شوارع عريضة واسعة وأرصفة، وتفصل مسافة بين البيوت فيه، ونتيجة هذا التوسع تقرر توسعة المدينة في اتجاه الرمال وأراضي المنتزه البلدي، أي إلى الحي الغربي.

تظهر هذه النهضة العمرانية في التقرير الذي قدمه موسى العلمي عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية للسكان،<sup>50</sup> فيذكر أن المدينة شهدت في الثلاثينيات ومع بداية الأربعينيات حركة بناء وعمارة ملحوظة. وبناء على ما سبق، وكما هي الحال في كثير من المدن، شهدت المدينة حراكاً جغرافياً، أدى إلى حراك اقتصادي واجتماعي، وتبدل للشرائح والجماعات الاجتماعية. وكان أكبر أحياء المدينة القديمة في بداية المرحلة البريطانية بحسب إحصاءات البلدية هو حي الدرج، ثم الزيتون، ثم التركمان، ثم الجديدة، ثم التفاح، ثم الشجاعة. ولذا أصبح لدينا بعد إقامة هذا الحي حضرياً ما يلي: المدينة القديمة وشوارعها الضيقة، وحي الرمال اللبنة الأساسية للمدينة الجديدة ذات الشوارع الواسعة والأرصفة. وبالتالي أضحي الحي «الراقي» وسكانه هم أبناء المدينة، وهم أنفسهم المنتقلون من المناطق القديمة إلى هذا الحي. وبدأت تبرز لدينا تعابير لبعض الشرائح الاجتماعية، مثل الحديث عن سكان «المناطق التحتانية» نسبة

إلى الحارات القديمة.<sup>51</sup> هذا التمايز الاجتماعي يشبه الفروق بين سكان شرقي مدينة نابلس وغربها. وهذا يكشف عن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المدينة في أثناء هذه الحقبة ودور التخطيط الحضري في خلق تصنيفات اجتماعية جديدة مرتبطة بالحراك الجغرافي، المنتج، بدوره، تمثلات اجتماعية واقتصادية جديدة. فقد تحول حي الرمال في سنوات لاحقة إلى حي «راق» يمثل الشريحة «المرفهة»، وتتمركز فيه المؤسسات العامة والهيئات والنوادي، وأماكن الاصطيف، والمطاعم والشوارع الواسعة والأرصفة للتنزه، وحتى شوارع «للعشاق» (نسبة إلى بعض الشوارع كشوارع الشهداء وشارع المينا) في المخيال المدني للسكان في تلك المرحلة، وذلك في وصف شوارع خالية من كثافة السكان وبها هدوء وطمأنينة تسمح «للعشاق» بالتمشي. وفي أزمنة تاريخية لاحقة جرت مجموعة تغيرات على هذا الحي فأصبح حيين: شمالياً ومركزياً (الحي الأول الأصلي) وجنوبياً، وأعاد هذا توزيع علاقة السكان بالمركز والأطراف في فضاء حضري، إذ تمددت مدينة غزة نحو البحر في اتجاه الشمال والشرق والغرب حتى البحر. والواضح أن المدينة شهدت تطوراً عمرانياً ملحوظاً ونهضة حضرية ناشطة. ونجد هذا عند مؤرخي المدينة فيقول الطباع<sup>52</sup> إن غزة تحسنت تحسناً ملحوظاً.

### سادساً: تسمية الشوارع وترقيمها

بعيد التخطيط الحضري لمدينة غزة في الثلاثينيات، شرعت المدينة في عملية عصرنة للفضاءات العامة المدنية، وأهمها الشوارع التي كانت تحمل، فترات طويلة باستثناء الشوارع الرئيسية، أسماء أعلام أطلقها عليها بشكل رسمي الحاكم أو الوالي، أو بناء على تسميات الناس للشوارع بحسب ما اعتادوا تسميتها، إما نسبة إلى أسماء عائلات، وإما بحسب تمركز نشاطات اقتصادية، أو وجود مسجد أو منشأة. وبدءاً من الثلاثينيات بدأت تسمية الشوارع تأخذ منحى آخر، فأخذت بلدية غزة تسمي الشوارع تسميات تعبر عن توجه البلدية الجديدة، فتسمي «الشارع العام» ذلك الشارع الذي كان يحمل اسم جمال باشا. ثم بدءاً من سنة 1936 أطلقت أسماء: العراق، والملك فيصل، والإمام الشافعي، والسيد هاشم، وسعيد ثابت، وعبد الحميد سعيد، وموسى كاظم الحسيني، على عدة شوارع رئيسية في المدينة،<sup>53</sup> وكذلك تسمية شارع عمر المختار قائد الثورة الليبية

ضد الاستعمار الإيطالي. ومنذ تلك الحقبة حتى زمن قريب، جعلت المدينة شوارعها تحمل أسماء عروبية دلالة على التوجهات العروبية. فإذا أخذنا الشوارع الرئيسية الثلاثة المتوازية في المدينة، التي تنطلق من حي الشجاعة وحتى البحر، نجد أن هذه الشوارع تحمل اسم عمر المختار، وجمال عبد الناصر، وأحمد عبد العزيز (قائد القوات المصرية الذي استشهد في معارك 1948). وبالإضافة إلى ذلك عملت البلدية في سنوات لاحقة على إطلاق أسماء على شوارع أخرى مرتبطة بتوجه عروبي من الحقبة الناصرية كأسماء الجلاء والنصر وغيرها. وعلى غرار أماكن أخرى، فإن استخدام الناس للتسميات السابقة يبقى متداولاً، لأن ذاكرة السكان دوماً أقوى من ذاكرة المؤسسة الرسمية. لذا، بقيت تسميات شوارع المدينة السابقة متداولة، كما هي الحال في شارع الثلاثيني، والبلد، لوصف منطقة وسط المدينة، والصوراني لوصف منطقة المستوصف القديم، وشارع الزاوية لوصف إحدى حارات السوق «الفوقاني» إلخ. كذلك على الرغم من الخلافات في المجلس البلدي فقد سمى رئيس البلدية رشدي الشوا أحد شوارع المدينة على اسم سلفه، وهو فهمي بك الحسيني، لدى توسيعه بعدما كان شارعاً صغيراً.<sup>54</sup>

## المصادر

- 1 Marc-André Haldimann, Jean-Baptiste Humbert, et al, *GAZA: À la croisée des civilisations: Contexte archéologique et historique*, Tome 1 (Paris: Chaman édition, 2007), p 21.
- 2 الأرشيف الفرنسي، 14 / 8 / 1942.
- 3 الأرشيف البريطاني، ATQ/41/A/6.
- 4 المصدر نفسه، CF/169/34.
- 5 سليم المبيض، «النصرانية وآثارها في غزة وما حولها» (غزة: مكتبة اليازجي، 1998)، ص 7-8.
- 6 Jean Pierre Filiu, *Histoire de Gaza* (Paris: Fayard, 2012), p.19.
- 7 لمزيد انظر: المبيض، مصدر سبق ذكره، ص 119-120، إذ يقول: «إن قوات وسلطات الآثار ادعت أنها اكتشفت كنيساً يهودياً، وهي عبارة عن كنيسة».
- 8 Haldimann, Humbert, et al, op. cit., p. 48
- 9 Gaëlle Thèvenin, «L'économie monétaire antique,» *Journées scientifiques et culturelles*, «GAZA inédite,» Paris: Institut du monde arabe (Colloque: Paris et Marseille, 17-21 mars 2016).
- 10 سليم المبيض، «البنابات الأثرية الإسلامية في غزة وقطاعها» (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995)، ص 7.
- 11 عارف العارف، «تاريخ غزة» (القدس: مطبعة دار الأيتام الإسلامية، 1943)، ص 209.
- 12 انظر: المصدر نفسه، ص 232.
- 13 عثمان الطباع، «إتحاف الأعزة في تاريخ غزة، 1882-1950» (غزة: مكتبة اليازجي، 1999)، المجلد الأول، ص 318-324.
- 14 العارف، مصدر سبق ذكره، ص 232.
- 15 تعرّض هذا المسجد مرة أخرى للقصف من قوات الاستعمار الإسرائيلي في الحرب الأخيرة على قطاع غزة سنة 2014.
- 16 تصوير الباحث.
- 17 تعرّض هذا المبنى لدمار شبه كامل في أثناء الحروب الإسرائيلية خلال الفترة 2009-2014.
- 18 تصوير الباحث.
- 19 Meron Benvenisti, *Sacred Landscape: The Buried History of the Holy Land since 1948* (Berkeley, California: University of California Press, 2000).
- 20 Gideon Biger, *An Empire in the Holy Land: Historical Geography of the British Administration in Palestine, 1917-1929* (New York: St. Martin's Press, 1994).
- 21 Rapports de la Commission Royale, 1930.

- 22 الأرشفيف الفرنسي. عُيّن مهندس إيطالي اسمه ويثو كوليه بدءاً من سنة 1921.
- 23 Michel Foucault, *Surveiller et punir: Naissance de la prison* (Paris: Gallimard, 1975), p.19.
- 24 Henry Kendall, *Jerusalem: The City Plan, Preservation and Development during the British Mandate, 1918–1948* (London: His Majesty's Stationery Office, 1948).
- 25 ناصر الصوير، «دور بلدية غزة في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، 1948–1918»، رسالة ماجستير غير منشورة، غزة: الجامعة الإسلامية، 2008، ص 156.
- 26 Anthony King, *Urbanism, Colonialism and the World–Economy: Cultural and Spatial Foundations of the World Urban System* (London: Routledge, 1990).
- 27 انظر قراءة حسين البرغوثي (1954–2002) شاعر وأستاذ جامعي فلسطيني. لمزيد انظر: حسين البرغوثي، «الضوء الأزرق» (رام الله: دار ميم، 2010)، عن العمارة الفلسطينية وأثر الاستعمار البريطاني فيها في العشرينيات والثلاثينيات.
- 28 إبراهيم سكيك، «غزة عبر التاريخ» (غزة: مكتبة منصور، 1980)، الجزء الحادي عشر، ص 33.
- 29 العارف، مصدر سبق ذكره، ص 274.
- 30 عبد الكريم رافق، «غزة: دراسة عمرانية واجتماعية واقتصادية من خلال الوثائق الشرعية: 1273–1277هـ / 1857–1861م»، ورقة في المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام (عمّان: الجامعة الأردنية، 1981).
- 31 الصوير، مصدر سبق ذكره، ص 159.
- 32 مقابلات أجراها الباحث سنة 2013، مع مجموعة من السكان من المسنين، منهم عبد الله العلمي، وم. الخضري، وآخرون ممن عاصروا الحقبة البريطانية في المدينة.
- 33 الحاووز في الغالب كلمة عربية، إذ يعرفها المرجع اللغوي العربي «لسان العرب» لابن منظور، أنها مشتقة من «حاز»، ومنها الاشتقاق حواز الذي يعني تحويز الماء، ونقله عنهم الأتراك. ويعنى الحاووز الخزان أو الحوض الضخم لتجميع المياه وتخزينها.
- 34 مقابلات مع سكان من المدينة في سنة 2013.
- 35 صورة اقتنيت من المصور Kevork Kahvedjian في القدس.
- 36 انظر: رافق، مصدر سبق ذكره، ص 26–47.
- 37 الطباع، مصدر سبق ذكره، المجلد الثاني، ص 95.
- 38 لمزيد عن تاريخ الأحياء القديمة انظر: المبيض، «البنائات الأثرية...»، مصدر سبق ذكره؛ الطباع، مصدر سبق ذكره.
- 39 انظر مثلاً دراسة: عبد الصمد الديالمي، «المدينة الإسلامية والأصولية والإرهاب: مقارنة جنسية» (بيروت: دار الساقى، 2008).
- 40 الطباع، مصدر سبق ذكره، المجلد الثاني، ص 98.
- 41 انظر: العارف، مصدر سبق ذكره، ص 317–319.
- 42 الصوير، مصدر سبق ذكره، ص 165.

43	المصدر نفسه، ص 144.
44	المصدر نفسه، ص 158.
45	المصدر نفسه، ص 153.
46	المصدر نفسه، ص 155.
47	المصدر نفسه، ص 159.
48	سكيك، مصدر سبق ذكره، الجزء الرابع، ص 35.
49	المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص 161.
50	الأرشيف البريطاني، 1935 / 1722 / 2999.
51	مقابلات مع خميس أبو شعبان، وفهد الريس، وم. بيسييو، وآخرين (2013).
52	الطباع، مصدر سبق ذكره، المجلد الثاني، ص 100.
53	الصوير، مصدر سبق ذكره، ص 290-294.
54	سكيك، مصدر سبق ذكره، الجزء الرابع، ص 18.